العزة، والرفاه.. في ظل القرآن

المكان: طهران

الزمان: ١٣٩١/٤/٣١ش. ١٤٣٣/٩/١هـ. ٢٠١٢/٠٧/٢١م.

المناسبة: حلول شهر رمضان المبارك

الحضور: جمع غفير من القراء وأساتذة القرآن الكريم من مختلف أنحاء البلاد

٤٣٢١

نحمد الله تعالى من أعماق القلب وبكل أرواحنا بأن منّ علينا ووفقنا وشعبنا للأنس بالقرآن واللذة بتلاوته. يقيناً إن كل واحدة من هذه الجلسات التي تنعقد للقرآن الكريم وتلاوته، وينطلق عنادل القرآن فيها بأنغامهم لها تأثير كبير في تعميق الإيمان بالقرآن وعشقه ومحبته في نفوسنا.. وكل شيء رهن بهذا. إذا قرن شعب الاعتقاد بالحق وبالقرآن الكريم وبالمعارف الإسلامية، إذا قرنه بالمحبة فإن ألوان وأريج ورود المحبة اللطيفة بوسعها العمل على ازدهار المعتقدات العميقة في ميادين الحياة الإنسانية. إذا امتزجت هذه العقائد وهذه الالتزامات العقلانية بالمحبة والعواطف فستكون الساحة عندئذ ساحة العمل القرآني، وسوف تتزايد التوفيقات وتتعاقب وتترى. وهذا ما نصبو إليه. إذا استطاعت هذه المحافل والجلسات القرآنية أن تقرّب قلوبنا – فوق الجانب العقلاني – من القرآن في جانبه العاطفي ومن باب العشق والمحبة، فسوف تزول المشكلات التي تواجه المجتمع الإسلامي. هذه هي عقيدتنا.

طبعاً نحن لا نكتفي مطلقاً بمجرد المشاعر والعواطف، لكننا نعتبرها لازمة وضرورية. ولحسن الحظ فإن هذا المعنى موجود في مجتمعنا وفي معارفنا الإسلامية التي تعلمناها عن طريق أهل البيت (عليهم السلام).. العقل والعاطفة إلى جانب بعضهما.

ولحسن الحظ فإن بلادنا وشعبنا وشبابنا يخرجون مرفوعي الرأس في ارتباطهم وأنسهم بالقرآن الكريم. هذه المعرفة والخبرة والوعي وحالات فهم القرآن التي يراها الإنسان بوضوح في هذا الجلسات والتلاوات، وما نسمعه أو نراه خارج هذه الجلسات تختلف كثيراً عما كان في السنوات الماضية وبدايات الثورة في هذا البلد. الحمد لله على أن شبابنا ويافعينا ورجالنا ونساءنا تقدموا في مجال الارتباط والأنس بالقرآن، وهذه بشارة كبيرة جداً. لقد كنا محرومين من هذا في يوم من الأيام.

حينما يتوفر الأنس بالقرآن فسوف يتوفر المجال للتدبر في القرآن والتفكر في معارفه. لا يمكن قراءة القرآن بسرعة والمرور به مرور الكرام. فالقرآن بحاجة إلى التدبر والوقوف عند كل كلمة من كلماته وكل تركيبة من تراكيبه الكلامية واللفظية. كلما تدبّر الإنسان وتأمل أكثر واستأنس بالقرآن أكثر سوف ينتفع أكثر. هكذا هو القرآن.

مشكلات أي مجتمع من المجتمعات سوف تعالج بالقرآن الكريم. المشكلات تعالج بالمعارف القرآنية. القرآن يهدي بني آدم سبيل حل معضلات الحياة البشرية. هذا هو وعد القرآن وما تشير إليه تجارب الحقب الإسلامية. كلما اقتربنا من القرآن أكثر وكلما ازدادت بيننا الأعمال القرآنية – سواء في أرواحنا أو في أعمالنا الجسمانية، أو لدى الفرد أو المجتمع – كلما اقتربنا من السعادة ومن حل المشكلات والمعضلات أكثر.

العزة في ظل القرآن، والرفاه في ظل القرآن، والتقدم المادي والمعنوي في ظل القرآن، والأخلاق الحسنة في ظل القرآن، والانتصار على الأعداء في ظل القرآن. نحن الشعوب المسلمة إذا أدركنا هذه الحقائق بصورة صحيحة وبذلنا الجهود في سبيل الوصول لهذه الأهداف فسوف ننتفع منافع جمّة يقيناً.

تعاني الشعوب المسلمة اليوم من مشكلات عديدة أوجدتها لها هيمنة أصحاب النظرة المادية للخلقة والعالم.. النظرة النفعية المصلحية.. نظرة منحطة لإنسان لا يعرف أبجدية المعنوية. الحضارة التي منحت في الوقت الراهن الإمكانيات والقدرات العسكرية للمستكبرين قائمة على نظرة مادية لعالم الخلقة. وهذه النظرة المادية هي التي جلبت التعاسة والبؤس للعالم، وجلبت البؤس لهم أنفسهم. حينما تكون النظرة مادية ونفعية ومصلحية وبعيدة عن المعنوية والأخلاق الإنسانية ستكون النتيجة أن تعمل القوى العسكرية والسياسية والاستخباراتية على تكبيل الشعوب وأسرها. لم يكن للحضارة الغربية طوال القرون الأخيرة من ميزة وحسنة سوى هذه، لقد استغلوا البشرية وأسروا الشعوب وكبّلوها، واستفادوا من علومهم للقضاء على حضارات الشعوب الأخرى والتغلب عليها وعلى ثقافاتها واقتصادها.

لو قرأتم الأوضاع والأحوال التي سادت في القرون الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين للميلاد – ما دوّنه الغربيون أنفسهم وقالوه وليس ما دوّنه معارضوهم وأعداؤهم – لوجدتم ما فعلوه في شرق آسيا وفي الهند وفي الصين وفي أفريقيا وفي أمريكا، وأية ويلات صبّوها على البشرية، وأي جحيم خلقوه للشعوب والبشر وحرّقوهم فيه لمجرد الاستغلال

وامتصاص الدماء. تقدموا في العلم والتقنية ووصلوا بصناعاتهم إلى الذروة لكنهم استخدموا كل هذا في سبيل تعاسة الشعوب الأخرى، لماذا؟ لأن تلك الحضارة لم يكن لها أساس معنوي روحي، ولم يكن فيها معنوية. وحينما لا تكون هناك معنوية فلن تكون هناك أخلاق. دعاواهم بشأن الأخلاق دعاوى كاذبة وليس لها أي واقع. نعم، ثمة أخلاق وصبر وعقل في الأفلام السينمائية وفي المساعي التي تبذلها هوليوود، ولكن لا أثر لهذه الأمور في واقع الحياة. وهذه ستكون النتيجة حينما يكون هناك بُعد عن المعنوية.

في يومنا الراهن هذا، لاحظوا أنه في بلد من بلدان شرق آسيا – في بورما – يقتل آلاف البشر المسلمين ويذهبون ضحية العصبية والجهل – إن لم نقل أن هناك أيد سياسية في هذه القضية، ولنفترض أن الأمر كان نتيجة العصبيات الدينية والمذهبية كما يدّعون – ولا ينبس أدعياء حقوق الإنسان الكاذبون ببنت شفة. الذين ترقّ قلوبهم كل الرقة للحيوانات، والذين لو وجدوا أبسط الذرائع في المجتمعات المستقلة عنهم وغير التابعة لهم ضخّموها مئات المرات، يصمتون هنا مقابل مذابح ترتكب ضد أناس أبرياء عزّل بلا دفاع من نساء ورجال وأطفال، بل ويبرّرونها ! هذه هي حقوق الإنسان عندهم.. حقوق الإنسان المنقطعة عن الأخلاق وعن المعنوية وعن الله. يقولون إن هؤلاء ليسوا بورميين، فليكن إنهم غير بورميين – وهم طبعاً يكذبون في ذلك لأن المسلمين يعيشون هناك منذ ثلاثمائة أو أربعمائة سنة، حسب ما وصلنا من تقارير – هل يجب أن يقتلوا ؟! وقد كانت نفس هذه الحالة طوال سنوات متمادية في هذا البلد وفي بلدان مجاورة من قبل الغربيين ومن قبل الإنجليز خصوصاً تجاه هؤلاء الأهالي. لقد أنزلوا أشد الويلات بهؤلاء الأهالي. لم

يفعلوا أين ما وطأت أقدامهم الأرض سوى الفساد وإهلاك الحرث والنسل كما يعبّر القرآن الكريم.. نعم أنشأوا الأسواق من أجل أن تكون هناك أسواق لبضائعهم، وعرّفوا الناس على البضائع الجديدة من أجل ازدهار تجارتهم. هذه الحضارة منقطعة عن المعنوية والقرآن.

دعوانا هي تشييد حضارة قائمة على المعنوية وتعتمد على الله وعلى الوحي الإلهي وعلى التعاليم والهداية الإلهية. إذا استطاعت الشعوب الإسلامية اليوم إقامة مثل هذه الحضارة – والحمد لله على أن الكثير من الشعوب الإسلامية قد استيقظت ونهضت – فإن البشرية سوف تسعد. هذه هي دعوى الجمهورية والثورة الإسلامية. إننا ننشد مثل هذه الحضارة. احفظوا أيها الشباب الأعزاء هذا المعنى واجعلوه معياراً ومؤشراً لكم.

يجب أن نجعل أعمالنا قرآنية إلهية. ليس الأمر بالأقوال والألسن والادعاءات، علينا السير في هذا الدرب عملياً. حينما تأنسون بالقرآن الكريم وتتلونه، فأين ما كان فيه أمر وهداية ونصيحة حاولوا بالدرجة الأولى تكريسها في وجودكم وباطنكم وقلوبكم والاقتراب به من أعمالكم وممارساتكم. إذا التزم كل واحد منا بهذا الشيء عملياً فإن المجتمع سوف يتقدم ويكون مجتمعاً قرآنياً.

نهضة الارتباط والأنس بالقرآن الكريم في بلادنا صارت نهضة جيدة والحمد لله. مسألة حفظ القرآن الكريم التي سبق أن أوصينا بها أخذت تنتشر والحمد لله بين الشباب، ويجب أن تنتشر، ويجب أن نتعرّف على القرآن الكريم ونأنس به. حينما تحفظون القرآن ستستطيعون فهم معانيه بشكل صحيح. وعندما يفهم الإنسان معاني القرآن سيقدر على التدبر فيها، وحينما يتدبر في معاني القرآن يمكنه الوصول إلى معارف سامية فينمو ويرشد. الإنسان ينمو ويرشد في داخله عن طريق الأنس بالقرآن.

ربنا بمحمد وآل محمد لا تفرّق بيننا وبين القرآن. اللهم اجعل مجتمعنا مجتمعاً قرآنيا. اجعل حياتنا بالقرآن ومماتنا في سبيل القرآن. اللهم بمحمد وآل محمد اجعل القرآن شفيعنا يوم القيامة. اللهم لا تقصّر أيدينا عن القرآن وعن أهل البيت وهما الثقلان الكبيران اللذان تركهما رسول الله (ص) فينا. ربنا أرض عنا القرآن وأرض عنا أهل بيت الرسول والإمام المهدي المنتظر (أرواحنا فداه). ربنا وفقنا في القيام بواجباتنا. منّ علينا في شهر رمضان المبارك هذا وفي هذه الأيام والليالي المباركة بالتوفيق لعبادتك والتضرع والخشوع والتقرب إليك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.